كفاية الوسيط اللغوي في الوظيفة التواصلية

أ. د.حسن الخاقاني

جامعة الكوفة – كلية الآداب – قسم اللغة العربية

The sufficiency of the linguistic mediator in the communicative function

Hassan Al-Khaqani

/ Iraq / University of Kufa - College of Arts - Department of Arabic Language

ملخص البحث

الوظيفة التواصلية هي واحدة من أهم وظائف اللغة، واللغة هي الوسيلة الأكثر تداولا في التواصل من بين وسائل أخرى كالرموز والإشارات وغيرها.

وإذا كان التواصل يمر عبر الوسيط اللغوي فإنه لا بدّ من أن يتأثر بمعطيات هذا الوسيط وصفاته، ومن أبرزها: عدم الوضوح الكافي، وانتشار المعنى وتعدده، وعدم قطعية الدلالة..

ولذلك جاء هذا البحث ليرصد هذه الآثار التي تبدو واضحة في عملية التواصل، وما ينتج عنها من سوء فهم أو اختلاف في المعنى.

Abstract

The communicative function is one of the most important functions of language, and language is the most common means of communication among other means such as symbols, signs, etc.

If communication passes through the linguistic mediator, it must be affected by the data and characteristics of this mediator, the most prominent of which are: lack of sufficient clarity, the spread and multiplicity of meaning, and the lack of certainty of meaning. Therefore, this research came to monitor these effects that appear clearly in the communication process, and the resulting misunderstanding or difference in meaning.

Keywords: Language, communication, human, mediator, meaning, difference.

المقدمة:

حين بدأ الإنسان باستعمال اللغة وأصبحت وسيلتَه الأولى في التواصل بدلا من الأصوات المبهمة والإشارات والرموز لم يكن يتوقع أن تهيمن عليه هذه الوسيلة ليصير منقادا لها من دون أن يشعر، فقد فرضت اللغة وجودها على مجمل مفاصل الحياة حين غدت هي المنظار الذي يدرك به الإنسان الكون ووجوده فيه، حتى صارت اللغة هي التي ترسم خطواته في هذا الوجود المتأرجح بين شبكة لا متناهية من تعدد المعاني وانتشارها وتشابكها مع ذلك النوع من التفكير الأسطوري المغرق في المجاز الذي كان وسيلة إدراك خيالي يحل محل الحقيقة الجافة التي طالما نفر منها الإنسان مستنجدا بخياله الفسيح الذي يستوعب كائنات هذا الوجود المرئية أو اللامرئية.

كانت علاقة الإنسان باللغة مدار بحث وتمحيص لكثير من الفلاسفة واللسانيين قديما وحديثا، إذ رأى هؤلاء أن أمر اللغة لا يقتصر على كونها وسيلة تفاهم بين البشر، بل هي المهاد الذي تنطوي فيه الثقافة وطرائق التفكير ومسار الرؤى في معاينتها للأشياء والوجود، وهي المنطلق الرئيس الذي يحكم تصرف الأفراد والجماعات تجاه بعضها عبر نوع من الفهم المحدود الذي يؤدي إلى الانغلاق ورفض الآخر، أو المنفتح الذي يسمح بأنواع من التفاعل الحي الذي يغني الحياة عامة ويزيد من فرص تفاعلها ليرتقي بمساراتها المتشعبة.

وقد جاء هذا البحث ليرصد أبرز مظاهر هذه العلاقة الوثيقة بين الإنسان ولغته، وليركز النظر على الوسيط اللغوي للتواصل، وأبرز سماته، للإجابة عن سؤال هو:

ما مدى كفاية الوسيط اللغوي في إنجاز الوظيفة التواصلية للغة؟ وما الأثر الذي يتركه فيها؟

فكانت الوسيلة للإجابة هي اتباع منهج يقوم على عرض المقولات الفلسفية واللسانية الرئيسة، ثم تحليلها وبيان أهم سماتها ومناقشتها، عبر خطة منهجية واضحة بدأت بالوقوف أولا عند اللغة نفسها لبناء مرتكز مفهومي لها ينطلق منه البحث، ثم الانتقال إلى صفة الاختلاف الغالبة على اللغة سواء في بنيتها الإفرادية كالأصوات والحروف والكلمات، أم في بنيتها التركيبية وما فيها من جمل صغرى وكبرى تنشئ نصوصا تتعدد أساليبها وتتباين، أو تتفاضل أحيانا.

وقد أخذت علاقة كل من التفكير والثقافة حيزًا لها أيضا إذ لا يمر التفكير إلا عبر الوسيط اللغوي، وهو وثيق الصلة بنمط الثقافة المهيمن الذي له أثر كبير في تحديد الاستجابات وما يتبعها من تفاعل مع الآخرين.

وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث: إن الوسيط اللغوي لا يمتلك الكفاية اللازمة لتنفيذ عملية التواصل بدقة، بل إنه يترك آثاره في هذه العملية، ويتدخل في تحديد نوع الفهم المنتظر منها.

وقد تبدو فكرة هذا البحث لا جدة فيها، فقد سبق أن وقف عندها باحثون كثر من وجهات مختلفة، ولكن الجديد هو طريقة المعاينة الفاحصة التي حاولت أن تلمّ بمختلف الآراء لتجمع شتاتها وتقدم رؤية جديدة موجزة تحاول أن تبرز أثر الوسيط اللغوي في الوظيفة التواصلية للوقوف على هذه العملية الدقيقة المعقدة بكل أطرافها وما يعترض سبيلها من معوقات تجعل عملية التواصل مشوبة بما يعكّر صفوها، وبما يخرجها عن مثاليتها المفترضة التي قد توهم بها تلك البساطة البادية عليها.

في مفهوم اللغة: ربما تبدو اللغة واحدة من أعظم اكتشافات الإنسان في تاريخه الطويل حتى ارتقت لتكون

وسيلته التداولية الأولى إلى جانب ما لديه من وسائل أخرى كالإشارات والرموز والصور[١]، والهبات[٢]، فسرعان ما تفوقت اللغة على غيرها لتصبح في مقدمة حيازة الإنسان الثقافية والفكرية فضلا عن قيمتها الاستعمالية الأصل.

وإذا كانت اللغة قد اكتسبت هذه المكانة الرفيعة في تقويم الحياة حين غدت وسيلة تواصلية – فردية كانت أم جماعية – فإنها قد خضعت لجملة من التطورات التي زادتها تعقيدا إذ كان مسارها واضحا بالانتقال من الإفراد إلى التركيب بناء على مبدأ الاختلاف الذي يعد أساسيا للتمييز بين مكوناتها النووية كالأصوات والحروف والكلمات، أو التركيبية كالجملة البسيطة والمعقدة وصولا إلى النص وما يمكن أن يدمج فيه من تنوع في الأساليب.

إن العلاقة بين الوسيط اللغوي والتواصل الذي يمر عبره علاقة جدلية متينة لا يمكن بأيّة حال التخلي عنها، أو عن أحد أطرافها، فهي علاقة مبنية على التلازم بحكم تعقيد اللغة، وتعقيد عملية التواصل التي لم تعد بتلك البساطة البادية على النموذج الأولي الذي قدمه الرائد اللساني الروسي رومان ياكوبسون(١٨٩٦-١٩٨٢) في خطاطته التي أخذت حيزا واسعا في الدراسات اللغوية والنقدية المتصلة بها[٣].

وإذا كان التواصل هو الوظيفة الأولى للغة، واللغة هي الوسيط الذي يمر التواصل عبره فيتأثر به مثلما يؤثر باللغة نفسها، فإن الحاجة إلى فحص هذه العلاقة تدعونا إلى الوقوف عند بعض المقولات الرئيسة المتصلة بهذه الفرضية بغية تجليتها، والبحث عن سبل نافعة في معالجتها، وهي تنقسم على قسمين يتعلق الأول منهما باللغة نفسها، ويتعلق الثاني بعملية التواصل

وما يتصل بها، لكنها جميعا مندمجة في قضية معرفية واحدة هي إشكالية الوظيفة التواصلية للغة.

وقد قدمت الدراسات المختصة بفحص اللغة من داخلها جملة من الخصائص التي تميز الاستعمال اللغوي وهي من الكثرة التي تفيض عن حاجتنا في هذا البحث الذي يريد التركيز على معاينة الوظيفة التواصلية أثناء مرورها بالوسيط اللغوي، لذا سنقتصر على الخصائص العملية المتصلة بكل من اللغة والتواصل في نقاط مركزة على النحو الآتي:

مفهوم اللغة: لم تعد اللغة مجرد أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، إنها أعمق من ذلك وأبعد أثرا، فهي جزء من الحياة الثقافية للكيانين الفردي والاجتماعي، وهي وسيلة الفكر والتفكير التي لا تنفصم عنهما[٤]، لذا علينا أولا أن نحدد المفهوم المنتقى للغة لينسجم مع مرادنا من عملية التواصل نفسها، وعلينا أن نميز بين مستويات الاستعمال اللغوي، إذ تبرز عدة أنماط من الأداء اللغوي، منها: تلك اللغة الرمزية الدقيقة ذات الدلالة المحدودة، وهي التي يصطنعها العاملون في حقول علمية مخصوصة كالكيمياء والطب والرياضيات والمنطق والبرمجة الحاسوبية، وهذه عادة ما تكون ذات سمة نسقية فارقة[٥] تعتمد الضبط الدقيق مع ضآلة المفردات الاصطلاحية التي تحصر دلالتها في نطاقها العلمي الضيق، فهي ليست عامة، وليست متاحة للاستعمال العام، ولا تصلح للتداول إلا في الميدان الذي صنعت من أجله.

وتبرز لغة التواصل اليومي الخاص بأداء أغراض الحياة المختلفة، وهي تختص بإنفاذ عملية التداول الاستعمالي المباشر التي تعمل على مبدأ الأمر والنهي، أو الطلب والاستجابة كما هو الحال في الأسواق والمؤسسات

الخدمية المختلفة، وهذه اللغة لا ترتقي إلى مستوى الأداء الفني الرفيع بل تبقى في نطاق سياقها الاستعمالي المباشر الذي لا يترك أثرا وجدانيا في نفس مستعملها أو متلقيها[٦].

ويأتي النمط الثالث من أنماط الأداء اللغوي – وهو المقصود في هذه الدراسة- وهو نمط الاستعمال الفني ذو القيمة الفنية المتدرجة، لكنه على أية حال يجعل اللغة تلفت إلى نفسها أولًا قبل أن تلفت إلى مضمونها، وهو نمط يتسم بتماسك التركيب، وتعدد الدلالة بما يجعل الفهم والاستجابة يتجهان إلى أفق مفتوح قابل للتأويل، وهذا ما نلمسه في اللغة المستعملة في الكتب الدينية والأدبية الرفيعة، وهو ما يجعل المتلقي في مواجهة سيل من التعدد الدلالي الذي يدعوه إلى الترشيح والانتقاء بحسب معطيات النص نفسه، أو بحسب المرتكزات الثقافية القارة في ذهن المتلقي نفسه، وهنا يحدث نوع من التباين بين طرفي الاتصال في التعامل مع الوسيط اللغوي بما يؤدي إلى انتشار المعنى وتشتته، وربما كان هذا المبدأ البسيط في شكله سببا رئيسا في الاختلاف الواقع بين أفهام المتلقين المفضي إلى أنواع من التباين في المواقف حد التناقض والصراع أحيانا كما يشهد التاريخ بذلك.

مشكلة اللغة في نفسها: ينطلق الوقوف عند هذه المشكلة من السؤال التحريضي: هل أن اللغة في نفسها هي أداة مثلى للتواصل؟ أي أنها تمتلك الدرجة الكافية من الوضوح التي تؤهلها لأداء وظيفتها الأولى في تحقيق التواصل بشفافية ودون معوقات؟.

إذا كانت اللغة هي الأداة الرئيسة للتواصل –وليست الوحيدة– فإنها ستكون هي نفسها عرضة للفحص والتقويم لبيان مدى كفايتها في أداء وظيفة التواصل التي أنيطت بها، وقد وقف الدارسون عند عدد

من السمات التي تجعل من اللغة أداة قاصرة لما فيها من نقاط ضعف، أو موارد اختلاف تقعد بها عن الوصول إلى الدرجة المثلى المرتجاة في عملية التواصل[٧] التي تعني تحقيق الفهم التام بانطباق محتوى اللغة على الواقع الذي تصفه أو تتحدث عنه.

ومن الملاحظ أن اللغة التي نتحدث بها عادة ما (يشوبها كثير من غموض ونقص وقصور، فقد توجد كلمات ليس لها معنى محدد، وكلمات أخرى معانيها متداخلة)[٨] وإذا كان السياق يرتقي أحيانا ليكون معيارا لفرز بعض المعاني المتداخلة للكلمة الواحدة، مفردة كانت أم مدرجة في تركيب، فإنه غير قادر على بلوغ الدرجة التامة من الدقة في تحديد الدلالة، (فاللغة بطبيعتها فضفاضة، مرنة، بها بعض الغموض)[٩] الملازم لها، ودليل ذلك: أن المتلقي عندما يسمع كلاما وإن كان يبدو على درجة من الوضوح فإنه يدخل في حال من التفكر في المعنى فيدير الكلام في عقله، ويقلّبه على وجوه شتى حتى يظفر بالمعنى الذي يستريح إليه حين يقارب رغبته، أو يتوافق ولو جزئيا مع حصيلته الثقافية والنفسية السابقة.

وبما للغة من سطوة على الفكر والتفكير، والشعور والوجدان فإنها قد تعلو على الإنسان نفسه حتى تغدو هي المتصرفة بشأنه لا هو المتصرف بشأنها، فاللغة هي التي تتكلم بوساطة الإنسان لا هو المتكلم بها، وهذه الفكرة التي نجدها عند «هيدجر» قد اعتمدها وطورها «جاك دريدا» في مقولته عن الكتابة التي تفرض وجودها على النص بوصفها عملية تقويض مستمر ليغيب معها الإنسان[١٠].

إن استقبال محتوى اللغة، والبحث عن تفسير له، وبقدر ما يقترن بالحصيلة الثقافية والشعور النفسي للمتلقي، فإنه يقترن أيضا بطبيعة اللغة

نفسها في تمثلها لعالم الأشياء، ذلك بأنها لا تستطيع، ولا يمكن لها أن تقدم وصفا مطابقا للواقع الذي تتحدث عنه، فهي لا تقدم إلا تصورات عن الواقع تظهر بشكل تمثيلات توفر استجابات قلقة لمجموعة غير منظورة من التجارب السابقة وما ينتج عنها من تأويلات لاحقة، إنها (عملية تأطير لأفكار ترتب العالم على نحو يتلاءم مع مقولات الذهن والوجدان المتجسدين في اللسان، فكل تحقيق فكري- لغوي لا يأتي نسخة مباشرة عن واقع معين، إنما يبلور نظرة خاصة إلى هذا الواقع منبثقة عن قالب بنيوي معين)[١١] له صوره المختلفة في الأذهان والثقافات المختلفة، وهذا ما يبتعد بالدلالة عن صفة التحديد أو الجمود ويفتح أمامها آفاقا واسعة من التأويل من جانب، ويمكن أن يكون وسيلة للهيمنة والتغلب من جانب آخر حين توظف اللغة خطابًا إيهاميًا مقصودًا، لذا علينا أن نكون -كما ينبهنا هيدجر- على حذر من (أن أي تفسير واقعي للغة يجب أن يضع في اعتباره ازدواج الدلالة، فهي يمكن أن تكون أداة توصيل لكنها يمكن أن تكون كذلك وسيلة خداع)[١٢] لما للغة من إمكان التلاعب بالعقول والمشاعر من طريق اللعب بالكلمات التي تمدنا (بتركيبات من الدوال، تسحر عقل مؤلفها، كما تسحر عقل سامعها، وحينما تكشف لعبة اللغة، في برق اللحظة، عن آفاق خيالية من العقل تصبح شعرا)[١٣] قادرا على التوغل إلى أعماق النفس لتشعرها بذلك الخدر اللذيذ المنبعث من انسجام التركيب مع الفكرة والموسيقى.

وأصوات اللغة، بما لها من قدرة على التعدد والاختلاف والتناغم، هي مصدر هذه الموسيقى التي تجعل اللغة تنطوي على إمكان من التركيب والابتكار الذي يستجيب للحاجات

المتجددة، فهي (لا متناهية، إذ يمكن اعتبارها مجموعة لا متناهية من المزاوجات، إلا أن معرفتنا هذه يمكن تمثيلها من طريق نسق متناهٍ من القواعد يحدد خصائص هذا العدد اللا محدود من الجمل التي نبنيها)[١٤] وهي لا متناهية أيضا كما قرر ذلك تشومسكي في نظريته عن اللغة.

إن اختلاف اللغات التي تتحدث بها الشعوب والأمم لا يقتصر على تكوينها البنائي الظاهر فحسب؛ وإنما يمتد إلى أعمق من ذلك كثيرا، إنه يمثل اختلافات جوهرية في طبيعة الثقافة، وفي معايير النظر للأشياء، وطرائق التفكير والتحليل واتخاذ القرار[١٥]، فالفكر مخبأ داخل اللغة كما يخبرنا هيدجر[١٦].

واللغة هي صاحبة الأثر الأول في بناء الفكر الفردي والجماعي، وهذا ما جعل الثقافات متباينة في فهمها للآخر عبر الوسيط اللغوي، وليس هذا غريبا فإن اللغة الواحدة في الأمة الواحدة هي عرضة للاختلاف في الفهم وتباين طرق النظر للأشياء كما هو الحال في لغتنا العربية التي كانت عبر تاريخها الطويل أداة للجدل المثير ومصدره، فلطالما اختلف الناس في أمور دنياهم وأخراهم بسبب اختلاف فهمهم للغة أولا، فالأشياء معطاة بوساطة اللغة، ويتلقاها المتلقي عبر اللغة أيضا فلا مهرب إذًا من الوقوع في شراك الفهم الذي تصنعه اللغة.

ولعل أشد ما يؤلم النفس أن يمتد هذا الخلاف من ساحة اللغة، أوعبرها إلى ساحة التناحر المفضي إلى مزيد من الضحايا: ضحايا الفكر، أو ضحايا اللغة والفهم المختلف لها، وما لنا نذهب بعيدا وقد نشأنا على الخلاف والاختلاف بين قادة الأمة ومجتهديها الذين انطلقوا من نصوص واحدة لكن تفرقت بهم سبل الفهم شتى (فقد اختلف العلماء في مسائل كثيرة تتعلق

باللغة ووضعها ومعانيها، واستعمالها، وكان لهذا الاختلاف أثر كبير في صدور الأحكام الشرعية واختلاف الفقهاء فيها)[١٧] وليس ذلك من خروج على النص، أو معارضته، وإنما من وجهة الفهم المتحقق من جملة العلوم المحيطة به -بوصفه نصا لغويا مرجعيا- (فاللغة العربية واسعة الألفاظ والمعاني، متعددة الأساليب في مخاطبة القلب والعقل، ففيها المشترك اللفظي الذي يحمل أكثر من معنى، سواء كان ذلك في المفردات أم في التراكيب، وسواء كانت المعاني متضادة، أو غير متضادة، وفيها التعبير الدقيق الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا، وفيها التعبير المرن الفضفاض الذي تتعدد احتمالاته لسبب أو لآخر، وفيها ما يدل على المراد بالمنطوق وما يدل بالمفهوم، وفيها العام والخاص وغير ذلك مما يحتاج إلى فهم وإتقان، فهي أوسع من غيرها)[١٨] هذا فضلا عما اجترحه القوم من مصطلحات لعلوم القرآن كالمجمل والمفصل، والمطلق والمقيد، والصريح والمؤول وغيرها مما يضاف إلى ما اجتهد به علماء الأصول في الوضع والاستعمال لبيان حد الدلالة والإمساك بمعنى دقيق لها.

هذا مما يتصل بالمادة اللغوية نفسها وقد استدعى كثيرا من الجهود التي كان يمكن توظيف طاقاتها في مجالات أخرى أكثر نفعا، لكنه يدل على رسوخ مبدأ الاختلاف في صلب اللغة نفسها، ولا غرابة في ذلك فما اللغة سوى وسيلة لا أكثر شأنها شأن أية وسيلة أخرى في الحياة قابلة للتطوير والتعديل والتبديل والتغيير، لكن المشكلة أن ترتقي اللغة إلى مستوى البناء الثابت الذي لا يقبل التعديل انسجاما مع طابع الثبات والمحافظة الذي يسم حياتنا فيرفض هذا النسق المحافظ قبول الاختلاف ويحوله إلى خلاف فيتسرب إلى أدوات التفكير

ويصبح مصدرا للحكم، غير ملتفت إلى الواقع العملي والتاريخي الذي يفترض أن يمدنا بممارسات عملية محسومة بالمشاهدة العيانية، ومنقولة عبر التقليد المتوارث، لكن اللجوء إلى اللغة بدلا من ذلك، وتحكيمها في تفسير بعض الممارسات اليومية أفضى إلى نوع من الاختلاف في التطبيق العملي، ومثالنا على ذلك تفسير آية الوضوء وما وقع فيها من خلاف في النظر إلى الحركات وعطفها، وكذا الأمر في الاختلاف في صورة الصلاة وبعض حركاتها.

وقد اتسع نطاق هذا الأمر فشمل النص القرآني «المبين» نفسه حتى زادت ثروة الأمة من التفسير على آلاف الصفحات التي تطفح كلها برؤى وآراء مختلفة، وكذا الأمر مع قراءات القرآن في تعددها واختلاف المراد منها، لم تسلم من ذلك سوره طويلة كانت أم قصيرة، حتى أن سورة واحدة –هي الفاتحة– يرددها المسلم في صلاته كل يوم أحصى الدارسون لها ما يزيد على (مئة وثلاثين) من موارد الاختلاف[١٩]!.

اللغة والاختلاف: يبدو الاختلاف بوصفه حضورا مائزا بين الأشياء والأفكار من المسلمات التي لا اختلاف فيها، فبضدها تعرف الأشياء، كما قيل قديما، وليس الاختلاف إلا الصفة اللازمة المميزة لكل كيان معنوي أو مادي من سواه، واللغة كيان معنوي مغروس في التكوين البيولوجي للإنسان يكتسبها من محيطه، ويطورها بالدربة والمران، ليستعملها بقدر ما كان مهيأ لهذا الاكتساب، وهذه القدرة على الاستعمال والتداول والتواصل، وقد تفاوت المستعملون في مستوى هذا الاستعمال والقدرة على توظيف اللغة.

ومع ظهور النزعة التفكيكية في الفكر الحديث اكتسب الاختلاف دلالة جديدة توسعت بمفهومه،

وركزته على المسافة الواقعة بين الدال والمدلول، تلك المسافة أو الفجوة التي لا يمكن ردمها، لأنها ذات وجود عياني شاخص يتحقق في الاستعمال أو التلقي والفهم بعدما كانت المطابقة بين طرفي إنتاج اللغة –الدال والمدلول– هي الحاكمة في المنطق القديم لتفضي إلى فهم مؤداه إمكان الوصول إلى دلالة محددة لا اختلاف أو خلاف عليها.

ظهر مصطلح الاختلاف بمفهومه الجديد مع ظهور مؤلفات «جاك دريدا» (١٩٣٠-٢٠٠٤) الذي أعاد النظر في المنطق القديم، مركزا على اللغة نفسها ليقتفي بذلك أثر «فرديناند دي سوسير»(١٨٥٧-١٩١٣) الذي آمن باعتباطية الدال وانفصاله، أو تباينه عن المدلول.

جاءت مقولة الاختلاف ضمن سياق فرضته رؤية مغايرة للغة، فقد (رفض التفكيكيون شفافية اللغة وذلك بوساطة تأدية المعنى بسهولة وبطريقة مباشرة، وقالوا بغموضها وتأجيلها وإرجائها من حيث الدلالات التي تحملها، ومعنى ذلك أنهم جعلوا المعنى غير حاضر، وغير متحقق بوساطة في اللغة فقط، وبوساطة قراءتها قراءة واحدة)[٢٠] قد تمنح معنى ما لكنه قابل للهدم والتقويض مع قراءة أخرى، وبتعدد القراءات ينفتح المجال أمام الدلالات حين تمارس العلامات هوايتها المفضلة في اللعب الحر، ذلك بأنّ العلامة لا يمكن لها أن تنحصر في نطاق ضيق، أو معنى محدد، فهي (تحمل في جوهرها كتلة من الاختلافات الدلالية ليكون المعنى مختلفا كذلك، والاختلاف يحقق التعدد، وفي التعدد نفي للمحدود، وإثبات للمطلق البعيد المرجأ)[٢١] الذي يظل عرضة للإضافة والتعديل باختلاف القراءات أو في اختلاف زمنها، وهذا ما يمكن أن نلمسه في النصوص الرفيعة التي ما زالت مظنة

للنظر النقدي والدراسة والتمحيص برؤى جديدة مستمدة من مناهج أو مكتشفات علمية جديدة.

اقترن الاختلاف بشبكة اصطلاحية معاضدة له كمفاهيم: الإرجاء، والتعدد، والانتشار، والتأجيل، والتشتت، وهي جميعا تخص المعنى المتحصل من العلامة مفردة جاءت أم مدرجة في سياق تركيبي يرتقي بها إلى مستوى النص، والنصوص هي بنيات لغوية تحمل معنى، لكن هذه البنيات ليست شفافة بدرجة كافية، والنصوص الناتجة منها ليست محدودة الدلالة تبعا لذلك، وهذا نتاج معاينة جديدة للغة، وارتقاء بقيمتها، وتنبيه لخطورتها كما هو الشأن في تفكير جاك دريدا، (فهو لا يرى الوجود إلا بوساطة اللغة، ويدعو إلى نظرة جديدة للغة، نظرة يتحول فيها الواقع إلى مجموعة من الأقنعة البلاغية، فاللغة هي التي تنشئ مفاهيمنا عن العالم، وهي التي تصنع الفلسفة والعلم والميتافيزيقيا، وهذا يقود إلى اللغة المتمظهرة في النص، فالنص هو «كل ما يلفظ باللغة»)[٢٢] ومن الواضح أن هذا يذكرنا بما سبق أن افترضه «مارتن هيدجر» في مقولته: «اللغة بيت الوجود» فلم تعد اللغة مقتصرة في دراستها على المختصين بنحوها أو صرفها، أو تاريخها، ولا على اللسانيين الناظرين في بنيتها من وجهة تزامنية خالصة، بل (أصبحت مبحثا أساسيا للفلسفة ما دام العالم لا يتكشف إلا من طريقها، كما أن خبرتنا عن العالم لا تتضح إلا بواسطتها، إذ عن طريق الكلمة يحقق الإنسان ترابط تفكيره، وانسجام ذاته، كما يكشف عن عالمه الداخلي لنفسه وللآخرين)[٢٣] وهذا يدل على إدراك كبار الفلاسفة لأهمية اللغة في التواصل مع عدم القدرة على إمساك الدلالة النهائية لمعطياتها بما يتيح مزيدا من التعدد، ويفتح آفاقا أكبر أمام حقول المعرفة الإنسانية التي تتكشف كل يوم عن انطلاقة جديدة لتصويب

أخطاء الماضي في النظر والتفكير والحكم الناشئ من رؤية ثقافية مؤثرة.

اللغة والتفكير والثقافة: كانت العلاقة بين اللغة والتفكير والثقافة مدار دراسات كثيرة، مطولة، وما يهمنا من شأنها تتبع قضية رئيسة تتصل بأثر الوسيط اللغوي في طرائق التفكير ومساراته، وما يفضي إليه من نتائج.

وقد كانت الفلسفة القديمة – ممثلة بآراء أرسطو– ترى أن الكلام رمز لما في العقل، وأن المعقولات واحدة بالنسبة للجميع[٢٤] وهذا يعني أن اللغة إن هي إلا تمثيل للفكر السابق عليها.

أما العرب فلم ينظروا في هذه القضية أصلا، لأنها (تتصادم والمبدأ الإسلامي القائم على أن «الله» تعالى هو الذي علّم الإنسان «البيان» وأنه هو الذي ألهم النفس «فجورها وتقواها» ومن ثم فالتصور الشائع الذي نجده لدى هؤلاء الرواد هو أن اللغة تقوم بدور «الناقل» أو المعبر عن الفكر، وليس دور «المشكّل» له)[٢٥]، ولكن سرعان ما تجاوز العلم الحديث هذا الانفصال أو التباعد الحاصل بين اللغة والتفكير، فقد بدا واضحا أن اللغة التي يتحدث بها الفرد أو المجموعة لا تقتصر على وظيفتها الأدائية بل تتجاوز ذلك إلى أهميتها الفكرية، فهي التي تصنع التصورات عن العالم، وهي التي(تقود الفرد إلى إدراك العالم بطرق مختلفة تماما)[٢٦] باختلاف اللغة نفسها، أو باختلاف اللهجات المتفرعة منها.

لذا نجد أن الإنسان إذ يقع في شراك اللغة لا يستطيع منها خلاصا، فهو مستغرق فيها، وهي مستغرقة فيه، تشكّل له ثقافته وطرائق نظره للحياة، فهي التي (تخلق للإنسان ذلك العالم الأقرب إليه من أي عالم موضوعات طبيعية، وتلامس رجاءه وكربه على نحو مباشر أكثر من الطبيعة المادية، لأن اللغة هي التي تجعل وجوده في جماعة ممكنا)[٢٧]ولا سيما إن علمنا أن قيمة الكلمة في الفن وعالم الخيال والأساطير

ذات طاقة سحرية تجاوز كثيرا حدودها الاستعمالية الضيقة المباشرة، فهي التي تتيح للخيال ذلك الانزياح الجميل في عالم لا محدود، فتحلق بالإنسان حين تحرره من قيود الواقع (فالفن مثل اللغة يرتبط ارتباطا تاما بالأسطورة، وتبدأ الأسطورة والفرد كوحدة عينية لا تنفصم، تنحل بالتدريج إلى ثالوث من الأنماط المستقلة للإبداع الروحي) [٢٨] المتصل بطبيعة التكوين الوجداني، والمفارق لضوابط المنطق العقلي البارد وحدوده الملزمة (فالتفكير عملية سيكو -فسيولوجية تحددها عوامل- كالغرائز والبواعث والمقاصد -لا تمت لعلم المنطق بصلة، أضف إلى ذلك؛ أن المنطق لا يعني -وليس له أن يعني- بالكيفية التي يفكر بها البشر بالفعل، بل إنه لا يعني أصلا بهوية الكائنات التي تقوم بعملية التفكير)[٢٩] التي لا فكاك لها من الانسياق وراء حصيلة العقل المفكر، وما يستند إليه من حصيلة معرفية وتجارب وجدانية تملي حضورها المؤثر فيه.

إن الحصيلة الفكرية وما يسندها من تجارب وجدانية- فردية كانت أم جماعية - فضلا عمّا يكتسبه الإنسان من محيطه الاجتماعي تشكل بمجملها ما يمكن أن ينضوي تحت مصطلح «الثقافة» التي تستقطب ما يحوزه الفرد من عادات وتقاليد وقيم اجتماعية أخلاقية تشكل شخصيته الفردية وتدمجه في كيان اجتماعي منسجم، أو متعارض معه، والثقافة كالتفكير رهن بالوسيط اللغوي الذي تمرّ عبره[٣٠]، فالوسيط اللغوي هو الذي يضطلع بصياغة النمط الثقافي المتميز عن سواه[٣١]، وهذا الأمر لا يقتصر على المجتمعات الإنسانية الحديثة ذات البنية الثقافية المعقدة، وإنما يمتد إلى تلك المجتمعات التي وصفت بأنها «بدائية» لما كان يُظن أنها على درجة من السذاجة لا تؤهلها لمثل هذا الحكم، ولكن الدراسات الثقافية والأنثروبولوجية المختصة تظهر غير

ذلك، فقد (وصل مالينوفسكي بعد دراسته لمثل هذه المجتمعات إلى أن وظيفة اللغة ليست أنها مجرد وسيلة للتفاهم أو للتوصيل، بل وظيفة اللغة هي أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، هي أنها جزء من السلوك الإنساتي)[٣٢] المتشعب إلى رؤى مختلفة تتدخل اللغة في صياغتها، ويعمل الخيال على توسيع نطاقها (وثقافة أي شعب وتاريخه وعقله لا يمكن أن تنفصل عن تاريخ لسانه، فالحياة والتواصل مع الآخرين يقتضيان لسانا مشتركا، ويحتفظ هذا اللسان بأثر الثقافة المشترك؛ فاللسان هو الوعاء لثقافة الإنسان، أو هو النقطة التي تلتقي عندها الثقافات بالذات فتفعل الثقافة فعلها في الذات)[٣٣] التي تغدو جزءا من الكيان الاجتماعي وإن كانت متميزة بخصائصها الفردية.

إن البحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة ووسيطها اللغوي يفضي بنا إلى الوقوف على وجهين مختلفين، ويمكن النظر في الوجه الأول المتصل بانفتاح الثقافة وقدرتها في توسيع أفق الرؤية امام حاملها ليبتعد عن الانغلاق والتقوقع حين يتاح له تحقيق التواصل البناء مع الآخر، وهذا ما يؤدي إلى تمازج الثقافات المختلفة وفهم الآخر واحترام حقه في الوجود والعيش الكريم.

أما الوجه الآخر فيتمثل في ذلك الانحباس في نطاق ثقافة واحدة محددة لا تستطيع مغادرة بيئتها وما ورثته عنها، وهنا يمكن أن نقترض من الدراسات الثقافية مصطلح «الهابيتوس» الذي هو في تعريفه الأولي المبسط: (نظام من الاستعدادات الدائمة التي يمكن نقلها من جيل إلى جيل بعملية التنشئة التي تبدأ بالعائلة والمدرسة حيث تترسخ الأحكام والأفكار ليصبح الفرد بعدها في حياته اليومية والعملية نتاجا ومحصلة لهذه الاستعدادات)[٣٤] التي تتغذى من معطيات بيئة محددة تؤدي إلى نوع من الانغلاق ورفض

الآخر، وعدم الاعتراف به، مع شعور بالأفضلية عليه.

وقد يقع المرء ضحية ثقافته المحدودة المقتصرة على نوع من الأداء اللغوي المفضل على سواه، وهذا ما يمكن أن نلحظه في ثقافتنا العربية بشكل ملموس، فهي تميل إلى الماضي، تقدس تراثها بكل ما فيه، ولا تستطيع النظر إليه برؤية علمية واقعية فاحصة، وتبدو اللغة هي الحارس الأمين لهذا التراث لذا نرى المتشبثين بمثل هذا الموقف يستبقون بالرفض أي جديد من دون الاستماع لأي رأي مغاير، وهذا ما جعل تطور الثقافة العربية سواء في مستواها الفكري التنظيري أم في نتاجها الأدبي تتسم بالانتكاس المتكرر والركون إلى نوع من النكوص إلى ماضٍ متوهَّم يصبح الأنموذج المثالي المفترض الذي يجب المكوث عنده وحده، مع سد كل الأبواب والنوافذ التي يمكن أن تتسرب منها أشعة نور الحداثة والتحديث.

اللغة والتواصل: قد يبدو من المسلّم به أن اللغة هي وسيلة تواصل وتفاهم بين مستعمليها، وسواء كانت هي الوسيلة الوحيدة أم واحدة من بين وسائل أخرى فإن الحيز الذي تحتله في هذا المجال بكثرة استعمالها يجعلها في مقدمة وسائل التواصل الإنساني ولا سيما في الميادين التداولية ذات النزعة النفعية المباشرة.

غير أن هذا الأمر لا يخلو من إثارة للجدل، فاللغة هي وسيلة تواصل بقدر ما هي وسيلة لعدم التواصل أيضا (فاعتبار اللغة أداة للتواصل لا يوحي به إلا الحس المشترك السطحي، وإن من يتأمل اللغة ليجد أنها لا تسهم في التواصل أكثر من إسهامها في عدم التواصل، وإن التفاهم بوساطة اللغة حالة خاصة لعدم التفاهم بها)[٣٥] وهنا تظهر لدينا هذه الإشكالية التي استنفدت كثيرا من جهود الفلاسفة واللسانيين للتحقق من مدى دقتها دون الوصول إلى نتائج حاسمة

موافقة للرؤى الفلسفية والعلمية التي ينطلقون منها.

ولكي نحدد مفهوما أكثر دقة للتواصل علينا أن نفرق بينه ومصطلح آخر يقاربه هو «الاتصال» (والفرق بينهما كبير، لأن الاتصال يكفي لحدوثه رسالة من طرف واحد، وليس كذلك التواصل، وإذا أضفنا إلى ذلك أن التواصل ينطوي على قدر كبير من القيم الاجتماعية والإنسانية عرفنا انهما مختلفان جملة وتفصيلا) [٣٦] فالاتصال عملية تتسم بالبساطة وتتحقق بوجود طرفين أو أحدهما، في حين أن التواصل أعقد من ذلك كثيرا لأنه ينطوي على عمليات من التفاعل والاستجابة والتأثر وردود الأفعال، وهنا تصبح المادة اللغوية المبثوثة لغرض تحقيق التواصل قلقة، غير قارة، إذ يتجاذبها طرفان مختلفان من حيث الفهم والتأويل هما المنشئ والمتلقي، وهذا ما يضعنا في مواجهة إشكالية تدقيق معنى الصحة والخطأ في المحمول اللغوي الذي هو في الوقت نفسه موضوع عملية التواصل نفسها: أهي في الأداة، أي اللغة؟ أم في الأفكار التي تحملها اللغة؟ وهنا نجد إجابات المختصين مختلفة كما هو شأنهم في مثل هذه المواقف الإشكالية، فمنهم من يرى أنها تتعلق باللغة نفسها وتنحصر بها وحدها، في حين يرى آخرون أنها تتعلق بما تحمله اللغة كما يتفضل «هابرماس» في شرحه لرأي «أوستن» الذي يرى (أن بإمكان المرء أن يستعمل الجملة الواحدة للتعبير عن مزاعم مختلفة، كما يمكنه أن يعبر عن زعم واحد بجمل كثيرة ولكن هابرماس يوضح كيف أن المزاعم لا تحقق شرط الثبات؛ لأنها ترتبط بزمن محدد، إذ أنها يمكن أن تصدق في زمن معين ولا تصدق في زمن آخر، والحقيقة ذات طبيعة لا زمنية) [٣٧] وهذا ما أدى بهابرماس إلى الاعتقاد بأن الحقيقة ليست وضعية، وإنما هي استدلالية فقط [٣٨] وما دامت الحقيقة كذلك فهي

عرضة لتعدد طرائق الفهم، أو لسوء الفهم الذي يفتح باب الجدل، وهو ما يضيق من إمكان التواصل باللغة، بل قد يخرجها إلى عدم التواصل أحيانا.

تجتمع عوامل كثيرة لتعوّق عملية التواصل، منها ما يتصل بأداة التواصل وهي اللغة، ومنها ما يتصل بعملية التواصل نفسها وما فيها من أطراف مشاركة، فمما يتصل بالأداة غالبا ما نجد أن (الرسائل المبثوثة نادرا ما تكون واضحة، وأحادية المعنى، بل إنها على العكس من ذلك تتضمن تعددا دلاليا)[٣٩] يسمح للمعنى بالتشتت والانتشار، وهذا يعني انتفاء وجود مراكز فهم مشتركة تتسم بالثبات والتحديد لتكون مرجعية واضحة يلتقي عندها الطرفان (فالتواصل يفترض وجود كليات وثوابت، وبغيابها تنشأ مشكلة علاقة اللغة بالواقع، والذات المدركة بالموضوع المدرَك، وكما قال فوكو إن مشكلة اللغة تحاصر الإنسان في عالم الصيرورة الكاملة، أي في عالم التغير الدائم حيث لا يوجد مركز ولا توجد أية ثوابت)[٤٠] يمكن الركون إليها والوثوق بها لتكون نقاط التقاء مشترك تؤسس لحوار تواصلي متكافئ.

وإذا كانت اللغة في صورتها المألوفة تعتل بهذه العلل التي تقعد بها عن أن تكون وسيلة تواصل مأمونة، موثوق بدقتها، فما بالك بها وقد أشبعت بالمجاز ونطقت به، واتخذته لباسا تتلبس به لتخفي حقيقتها القلقة أصلا؟ فالمجاز يمثل واحدة من المشكلات الكبرى التي اقضّت مضاجع المشتغلين في شتى حقول المعرفة الإنسانية، فاختلفوا فيه، وتباينت الآراء حتى بلغ الخلاف ذروته، ولم تتخلَّ اللغة يوما عن اجتراح صور مجازية جديدة تعبر بها عن أعقد مشكلات الفهم الإنساني وأخطرها مما يتصل بالعقائد والتشريعات، وهذا مما يزيد من جذوة الخلاف وشدته (فالصورة المجازية هي جزء أساس

من عملية الإدراك، وهي بالتالي مرتبطة تمام الارتباط بالنماذج المعرفية والإدراكية ورؤية الكون، وخير وسيلة للتعبير عنها، ويوجد داخل كل نص مكتوب أو شفهي نموذج كامن يستند إلى ركيزة أساسية عادة ما تترجم نفسها إلى صورة مجازية، استخدمها صاحبها بوعي أو بغير وعي للتعبير عن هذا الأنموذج)[٤١] المتكثر في صور مختلفة تتناسل في النصوص إلى ما لا نهاية، وبما قد يجعل هذه الصور قابلة للاستعمال في فرض تحيزات تعمل بشكل خفي عبر تمرير رؤية معينة[٤٢].

وكلما زاد إدراك الحقيقة وتعمق بها صاحب الرؤية النافذة ازداد المجاز كثافة وتعامت صوره على المتلقي كما هو الشأن في لغة المتصوفة وأصحاب الرؤى والتخيلات المبهمة التي قد تفوق ما لدى الشعراء أحيانا.

أمّا ما يتعلق بوجه إشكالية التواصل الآخر من حيث حضور طرفي العملية نفسها، أي الباث والمتلقي، فإن التفاوت حاصل لا محالة ما دام اختلاف المستوى الثقافي، والحصيلة المعرفية، والغاية المرتجاة من التواصل هي نقاط اختلاف أساسية لا مفر منها، فالمنشئ إنما ينشئ رسالته لغرض في نفسه غالبا ما يكون خفيا وإن أظهره بوجه ما، وهو يتوسل إلى ذلك بمزيد من التمويه والخداع فيجمّل رسالته بوسائل من التزيين غايتها خداع المتلقي وجذبه إلى منطقة التفاعل تمهيدا لتحقيق الاستجابة، وهو غالبا ما يتجه إلى التركيز على المناطق الوجدانية ذات الإثارة العاطفية، فإن توجه إلى العقل عند حاجته إلى ذلك فلن يتخلى عن استراتيجيته الرئيسة في الخداع فيستعمل وسائل جديدة تفي بغرضه كالمحاججة، والمغالطة المنطقية، والبراهين الزائفة وغيرها مما يقع في يده.

أما المتلقي الذي يقوم بفك شفرات الرسالة فيستعمل أدواته المتاحة أيضا، فلا يسلم القياد طوعا

وإنما يجري عمليات فحص وتحليل وتأويل ليكتشف الغاية الرئيسة المخبأة خلف هذا البهرج الخداع، وبقدر ما يمتلك من أدوات الثقافة ومعطياتها تكون قدرته على المجابهة، وبذلك يحصل هذا التفاوت الذي لا مفر منه بين الطرفين إن كانا متكافئين.

والموقف المضاد لهذا التعارض هو الانسجام الكامل بين الطرفين فتحدث الاستجابة العشوائية المستندة إلى عهد مسبق بالتسليم بغض النظر عن محتوى الرسالة نفسها، وبذلك تكون عملية التواصل فعالة وقد حققت أغراضها لا من طريقها المنطقي وإنما من طريق الاستجابة العاطفية المضمونة كما هو الحال بجمهور يتعلق بزعيم سياسي أو ديني -أو كليهما- يثق به ويؤمن بكل ما يصدر عنه، وهنا تكون عملية التواصل غير متحققة لأنها لا تنتج عن فهم وتأويل، بل من إيمان وتسليم فتفتقد إلى قيمتها الحقيقية الناتجة من وعي وإدراك بعد أن غيب هذا الوعي وعطل ذلك الإدراك.

الموقف من اللغة: يمكننا أن نلخص الموقف من اتخاذ اللغة وسيلة للتواصل بقراءة الرأي الفلسفي الذي يتجه مرة نحو الأشياء من منطقه الصوري الذي لا يرى في الكلمة سوى أن تكون علامة الشيء مع ثبات الفكرة عنها، ومرة يميل نحو الكلمات وفيه تزيد قيمة الكلمة على كونها مجرد علامة أو أداة إلى مستوى أرفع يربطها بالأفكار لتعبر عنها (وفي الحالة الأولى كانت الكلمة لا يربطها بالمدلول إلا علاقات ثانوية أو «خارجية» ولم يكن لها من قيمة سوى استخدامها في التواصل -فهي مجرد أداة تتجه نحو الأشياء- وفي الحالة الثانية لم تعد الكلمة علامة حقيقة، إنها تجسدت «فكرة»)[٤٣] وهذا ما يدرجها في مفهوم التواصل الذي يتسع نطاقه ليصل إلى مرحلة «خلق العالم باللغة» كما يرى دريدا.

ولعل هذا التعدد الدلالي، وما

يلحقه من تشتت في المعنى هو الذي دفع بالفلاسفة الوضعيين إلى بذل الجهد من أجل البحث عن لغة بديلة، لغة رمزية منطقية تسقط عن الكلمة كل دلالاتها الحافة لتكتفي بواحدة منها ترشحها، وقد (سعى فتجنشتين إلى البحث عن جملة الشروط التي تجعلها كاملة منطقيا تشكل بناء لبنية القضية التي تدرك بوساطة إشارتها للمعنى، فلا يجوز الحديث عن اللغة في نظره بعيدا عن المصادقات المحققة التي يحيل إليها اللفظ)[٤٤] ويتفق هذا النظر مع الفلاسفة الآخرين مثل: فريجه، ورسل، الذين اعتقدوا أن سوء الفهم ناشئ من سوء فهم منطق اللغة نفسها، فجدوا في البحث عن إنشاء لغة مثالية ذات ضبط دقيق، قريب أو مماثل لمنطق الرياضيات.

لكن هذا الأمر يبدو غير منطقي، فلا يمكن تحجيم الفكر الإنساني، ولا يمكن مصادرة المشاعر الوجدانية أو القضاء عليها وهي التي تؤدي بمستعملي اللغة، ولا سيما المبدعين منهم، إلى الإغراق في عالم الخيال عبر صور مجازية مبتكرة هي رديف العقل الإنساني سواء في تمثلاته الأسطورية البدائية، أم في تمثلاته العلمية الجامحة نحو خيال علمي طموح صار يحيط بنا ويستهوينا كما هو الحال في روايات الخيال العلمي، أم في أفلام السينما التي فاقت في خيالها كل تصور ممكن.

الخاتمة:

يبدو واضحا أن اللغة لم تعد محصورة في ذلك النطاق الضيق من المفاهيم التقليدية التي تقصرها على أنها مجرد أصوات موضوعة للتفاهم، أو التعبير عن المشاعر، إنها أوسع من ذلك فهي تمثل القوام الإنساني للأفراد والجماعات، وهي الكيان الثقافي المحتضن لأساليب من السلوك وأنماط من التفكير والفهم والتواصل، وهنا تكمن أهميتها فهي التي تحدد المعالم الثقافية التي تمر عبرها الاستجابات

المتعددة بتغير الظروف والأحوال، وهي التي تحدد طبيعة المواقف المتخذة بما فيها من خيارات، وما يترتب عليها من تبعات، لذلك نستطيع أن نقول إن تاريخ أية مجموعة بشرية إنما يكمن في طوايا لغتها أولا.

أبرز النتائج:

١- لم تعد اللغة رهينة ذلك الفهم الضيق الذي يقصرها على الإشارة إلى الأشياء أو الدلالة على المفاهيم بما يقرب من المطابقة، فهي أوسع من ذلك وأكبر.

٢- لا تقتصر اللغة في مجالها الاستعمالي على مستوى واحد، بل تتعدد مستوياتها من النفعي المباشر إلى الجمالي الذي يحفّ به الغموض وينفتح على مزيد من إمكان التأويل المتعدد.

٣- إن اللغة هي التي تعلو على الإنسان وتخضعه لإكراهات نظامها الصارم، وهو ما يجعل الأفعال وردود الأفعال واقعة ضمن محددات اللغة القسرية التي تتحكم في خيارات الإنسان المتاحة.

٤- إن اللغة هي مصدر للخلاف والتباين في الآراء والأفعال من حيث هي موضع للاختلاف والتعدد في الدلالة والفهم حتى في داخل الجماعة البشرية الواحدة التي تستعمل اللغة نفسها.

٥- يمكن للغة أن تكون الدليل الثقافي الذي يقود إلى التعمق في فهم الكيان الإنساني والتنبؤ بما يمكن أن يقع له من استجابات مفترضة يإزاء الأفعال والتحديات القائمة.

الهوامش:

١- ظ: أورو، سليفان، فلسفة اللغة، ترجمة: بسام بركة، مراجعة: ميشيل زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢، ص٧٩.

٢- ظ: موس، مارسيل، بحث في الهبة شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة، ترجمة: المولدي الأحمر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص ١٥.

٣- ظ: الجابري، محمد عابد (إشراف) التواصل نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠،ص١٢،وقد بين الكاتب حسن مستر في مقاله: لا وعي التواصل في الكتاب نفسه، أن أنموذج يا كبسون قد سبقه عمل كل من «كلود شانون ووارين ريفر» بخطاطة تتكون من ستة عناصر تخص الرسائل المنقولة عبر التلغراف من أجل تخفيض قيمتها! وهي: (مصدر المعلومة-الجهاز المرسل - الرسالة - مصدر التشوش - الجهاز المستقبل - هدف المعلومة أو المرسل إليه).

٤- ظ: الخليفي، بشير، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر، ط١، ٢٠١٠، ص٥٩ - ص٦٢.

٥- ظ: الخليفي بشير، الفلسفة وقضايا اللغة، ص ٥٦، والإشارة هنا لمحاولات المدرسة الوضعية ولاسيما فتجنشتاين.

٦- وفي هذا النمط يمكن إدراج استعمال اللغة في صياغة التشريعات الأساسية التي تنظم الحياة القانونية للدول وشعوبها، لكن الواضح الآن أن صياغة هذه التشريعات، وعلى الرغم مما يبذله المشرعون فيها من دقة وحذر وتحرز ما زالت عرضة لسوء الفهم أو غموضه، لذا تلجأ الدول إلى إنشاء محكمة عليا لتفصل بين المختلفين

في الفهم ولتقطع التنازع بينهم.

٧- ظ: أحمد، إبراهيم، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،الجزائر، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٠ حيث رأى القديس أوغسطين أن اللغة قاصرة ومحدودة في إيصال الحقيقة وعجزها عن أن تقوم بدورها كوسيلة للتعلم والتعليم.

٨- زيدان، د. محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص١٦.

٩- زيدان، د. محمود فهمي، في فلسفة اللغة، ص ٨.

١٠- ظ: الرويلي، د. ميجان، البازعي د. سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضا – بيروت، ط٥، ٢٠٠٧، ص١١٥ – ص١٢٠.

١١- جيهامي، د. جيرار، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية دراسة تحليلية نقدية، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص ١٣.

١٢- أحمد، إبراهيم، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر، ص٧٢.

١٣- جيلسون، أتيين، اللسانيات والفلسفة دراسة في الثوابت الفلسفية، ترجمة: د. قاسم المقداد، دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١٧، ص١٩٧.

١٤- الفهري، د. عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية – الكتاب الأول – دارالشؤون الثقافية، بغداد، ص٤٥.

١٥- ظ: كاسيرر،أرنست، اللغة والأسطورة، ترجمة: سعيد الغانمي، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠٠٩، ص ٥.

١٦- أحمد، إبراهيم، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر، ص٦٧.

١٧- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام للطباعة والنشر، السعودية، ٢٠٠٠، ص ٥.

١٨- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، ص٣.

١٩- ظ: الحلاق، جمال علي، آلهة في مطبخ التاريخ قراءة في تاريخ سورة الفاتحة، منشورات الجمل بألمانيا، ط١، ٢٠١٢، ص١٠٥ - ص١٧٤.

٢٠- تاوريريت، بشير، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، الأردن، أربد، ٢٠١٠، ص٢٣١.

٢١- تاوريريت، بشير، الحقيقة الشعرية، ص ٢٣٢.

٢٢- إبراهيم، عبد الله وآخران، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط٢، ص ١٣٩.

٢٣- الخليفي، بشير، الفلسفة وقضايا اللغة، ص٦٢.

٢٤- ظ: محسب، د. محيي الدين، اللغة والفكر والعالم دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٢.

٢٥- محسب، د. محيي الدين، اللغة والفكر والعالم، ص٥.

٢٦- جرين، جوديت، التفكير واللغة، ترجمة وتقديم: د.عبد الرحيم جبر، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٢، ص ١١٦.

٢٧- كاسيرر، ارنست، اللغة والأسطورة، ص١١٥.

٢٨- كاسيرر، أرنست، اللغة والأسطورة، ص ١٧٢ - ١٧٣.

٢٩- الحصادي، د. نجيب، أسس المنطق الرمزي المعاصر، دارابن الأجدابي، ليبيا، ١٩٩٣، ص ٨.

٣٠- ظ: حسام الدين، د. كريم زكي، اللغة والثقافة دراسة أنثروبولوجية لألفاظ علاقات القرابة في الثقافة العربية، ص ٨. (لا معلومات أخرى).

٣١- الجابري، محمد عابد «إشراف» التواصل نظريات وتطبيقات، ص ٧٥.

٣٢- السعران، د. محمود، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، مصر الاسكندرية، ط٢، ١٩٦٣، ص١٧.

٣٣- يوسف، د.عبد الفتاح أحمد، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر- بيروت، ٢٠١٠، ص٢١- ص٢٢.

٣٤- الخالد، د. غسان، الهابيتوس العربي قراءة سوسيو- معرفية في القيم والمفاهيم، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١٥، ص١٠.

٣٥- الفهري، د. عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية، ص ٤٢.

٣٦- ستيتية، سمير شريف، اللسانيات المجال الوظيفة، المنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ٢٠٠٨ ص ٦٧٦.

٣٧- الجابري، محمد عابد، التواصل نظريات وتطبيقات، ص ٣٥.

٣٨- ظ: الجابري، محمد عابد، التواصل نظريات وتطبيقات،، ص ٣٦ - ص٣٩.

٣٩- الجابري، محمد عابد، التواصل نظريات وتطبيقات، ص ٢٠.

٤٠- المسيري، د. عبد الوهاب، اللغة والمجاز ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص١٣٠.

٤١- المسيري، د. عبد الوهاب، اللغة والمجاز ووحدة الوجود، ص ١٩.

٤٢- ظ: المسيري، د. عبد الوهاب، اللغة والمجاز والوجود، ص ١٩.

٤٣- جعفر، د.عبد الوهاب، الفلسفة واللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، الاسكندرية، ط٢، ٢٠٠٤، ص٦٧.

٤٤- الخليفي، بشير الفلسفة وقضايا اللغة، ص ٥٥.

المصادر والمراجع:

١- إبراهيم، عبد الله وآخران، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦.

٢- أحمد، إبراهيم، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨.

٣- أورو، سليفان، فلسفة اللغة، ترجمة: بسام بركة، مراجعة: ميشيل زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢.

٤- تاوريريت، بشير، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، الأردن، أربد، ٢٠١٠.

٥- الجابري، محمد عابد (إشراف) التواصل نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

٦- جرين، جوديت، التفكير واللغة، ترجمة وتقديم: د. عبد الرحيم جبر، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

٧- جعفر، د.عبد الوهاب، الفلسفة واللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، الاسكندرية، ط٢، ٢٠٠٤.

٨- جيلسون، أتيين، اللسانيات والفلسفة دراسة في الثوابت الفلسفية، ترجمة: د. قاسم المقداد، دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١٧.

٩- جيهامي، د. جيرار، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية دراسة تحليلية نقدية، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

١٠- حسام الدين، د. كريم زكي، اللغة والثقافة دراسة أنثروبولوجية لألفاظ علاقات القرابة في الثقافة العربية، (لا معلومات أخرى).

١١- الحصادي، د. نجيب، أسس المنطق الرمزي المعاصر، دار ابن الأجدابي، ليبيا، ١٩٩٣.

١٢- الحلاق، جمال علي، آلهة في مطبخ التاريخ قراءة في تاريخ سورة الفاتحة، منشورات الجمل بألمانيا، ط١، ٢٠١٢.

١٣- الخالد، د. غسان، الهابيتوس العربي قراءة سوسيو- معرفية في القيم والمفاهيم، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١٥.

١٤- الخليفي، بشير، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر، ط١، ٢٠١٠.

١٥- الرويلي، د. ميجان، البازعي د. سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضا – بيروت، ط٥، ٢٠٠٧.

١٦- زيدان، د. محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

١٧- ستيتية، سمير شريف، اللسانيات المجال الوظيفة، المنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ٢٠٠٨.

١٨- السعران، د. محمود، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، مصر، الاسكندرية، ط٢، ١٩٦٣.

١٩- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام للطباعة والنشر، السعودية، ٢٠٠٠.

٢٠- الفهري، د. عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية – الكتاب الأول – دار الشؤون الثقافية، بغداد، ب.ت.

٢١- كاسيرر، أرنست، اللغة والأسطورة، ترجمة: سعيد الغانمي، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠٠٩.

٢٢- محسب، د. محيي الدين، اللغة والفكر والعالم دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق، مكتبة

لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

٢٣- المسيري، د. عبد الوهاب، اللغة والمجاز ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.

٢٤- موس، مارسيل، بحث في الهبة شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة، ترجمة: المولدي الأحمر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١١.

٢٥- يوسف، د.عبد الفتاح أحمد، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر - بيروت، ٢٠١٠.